الدارة

نشأة علم البيليوجرافيا

عند العرب

للدكتور عبد الستار العلوجي

علم البيليوجرافيا او علم قوائم الكتب بكل مايتضمنه اعداد القوائم من طرق الجمع والتنظيم ، وبكل مايتطلبه من معلومات تقدم عن الكتب والمؤلفين علم حديث في الغرب لم يكد يبلغ من العمر قرنين كاملين ، ولكنه علم قديم في لغة العرب (وان لم يعرف فيهابهذا الاسم)يرجع تاريخه المحقق الىاكثر من عشرة قرون ، وربما امتدت بداياته الاولى في أعماق التاريخ العربي الى ماقبل ذلك بقرنين آخرين .

ويكاد ينعقد اجماع الباحثين على أن فهرست ابن النديم هو أول عمل ببليـــوجرافي في اللغـــة العربية ويكاد ينصرف اهتمامهم في دراسة تاريـخ هذا العلم وتطوره على أيدي المسلمين الى أعمـــال بعينها تمثل علامات بارزةعلى الطريق الطويل الذي قطعه التجميع الببليوجرافي عبر عشرة قرون كاملة ابتداء من ابن النـــديم في فهرستـــه ، ومـــرورا بطاشكبري زاده في (مفتاح السعـــادة) وحاجي خليفة في (كشف الظنون) ، ووصولا الى اسماعيل البغدادي في « ايضاح المكنون » و « هدية العارفين » وانتهاء بيـوسف سركيس في « معجم المطبوعـــات العربية والمعربة »

ونقطة البدء في تاريخ هذا العلم عندالمسلمين تحتاج الى وقفة متانية ، فكتاب « الفهرســت » في صورته التي وصلنا عليها برغم كل مافيهـــا من مظاهر النقص والقصور لايمكن الا أن يكون ثمرة جهود متصلة ومحاولات سابقة أصغر منه حجمـــا واضيق مجالا ، فقد أراد ابن النـــديم لكتابه أن يكون حصرا لكل ماالف في اللغة العربية وكلماترجم اليها في مختلف فروع المعرفة حتى سنة ٣٧٧ ، وعمل ترسم حدوده بهذا الاتساع والشمول لايمكن أن يكون باكورة الاعمال الببليوجرافية في لغة من اللغات ٠

ولكي نصل في تلك القضية الى حقيقة نطمئن اليها لابد لنا من أن نتخذ من كتاب (الفهرست) نفسه منطلقا للبحث ، نغوص فيه حينا ، ونتقـدم عليه في الزمن حينا آخر ، ونتأخـر عنه في بعض الاحيان ، ونحن نفعل ذلك لاننا لانريد أن نبـدأ بالشك وانما نريد أن نصل الى اليقين ، لانريد أن نبدأ بالخلاف وانما نريد على العكس من ذلك أن نبدأ بما هو متفق عليه ، ولا بأس من أن ينتهي بنا البحث الى ماقد يكـــون مخالفا لما تواضع عليـــه الباحثون في هذا العلم ٠

فلنبدأ اذن بفهرست ابن النديم فهو كتـاب لايشك فيه أحد ولا يختلف حوله اثنان ٠

واول مايلفتنا في هذا الكتاب أن مؤلفه سماه (الفهرست) ، والفهرس كلمة فارسيـــة معربة ومعناها في اللغة (الكتاب الذي تجمع فيه الكتب)

(١) وتطلق أيضا على قائمة محتويات الكتاب ، والى هذا المعنى الاخير يتجه قولهم (فهرس كتابه) كما أوضح الفيروزابادي في قاموسه المحيط ، والمعنى الاول للفظ هو الذي يعنينا الآن وان كانالتعريف الذي سقناه لايفرق بين مدلولين متميزين في العصر الحديث هما الفهرس والببليوجرافيا ، فالفهرس هو الذي يحصى كتب مكتبة بعينها ، أما القائمـة الببليوجرافية فهي التي تحصى ماكتب عن موضوع من الموضوعات أو شخص من الاشخاص أو بلد من البلاد أو فترة من فترات التاريخ بصرف النظر عن وجودها أو عدم وجودها في مكتبة من المكتبـات ٠ وقد يكون لشخص من الاشخاص من غزارة الانتاج مايجعله صالحا لأنيكون موضوعقائمة ببليوجرافية تحصر نتاجه الفكري وتعرف به

فالقوائم الببليوجرافية والفهارس المطبوعة تتفق معا في أنها (تجمع فيها الكتب) ومن ثـــم يصدق عليها التعريف اللغوي لكلمة الفهـرس ٠ ولهذا نجد اللفظ في تراثنا العـربي يطلق عـــلى فئتين دون تمييز بينهما فيقال فهرس مؤلفات فلان وفهرس مكتبة كذا ، وهو في الاستعمال الاول يعني مانعرفه اليوم بالببليوجرافيا وفي الاستعمال الثاني يقصد به المعنى الاصطلاحي الحديث لكلمة الفهرس وللعرب عذرهم في هذا فلم تكن الببليوجرافيا كعلم له أصوله وقواعده ومناهجه قد عرف بعد ٠

ولقد وجدت فهارس للمكتبات الاسلامية منذ عصر مبكر ، فقد تحدث الحسن بن سهل بان خزانة الحكمة في بغداد كان لها فهرس في زمن الخليفـــة المامون (٢) وذكر ابن الجوزي انه في سنة ٣٨٣ هـ اشترى سابور بن اردشير وزير بني بويه دارا في الكرخ بين السورين وعمرها وبيضها وسماها دار العلم ووقفها على اهله (ونقل اليها كتبا كثـــيرة ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرستا) (٣) ، وروى ياقوت عن ابي الحسن البيهقي ان فهارس مكتبـة الصاحب بن عباد المتوفي سنة ٣٨٥ هـ التي وقفهـا على مدينة الري بلغت عشرة مجلدات كاملة (٤) ٠ كذلك روى ابن خلدون عن ابن حزم عن بكيـه الخصي الذي كان على خزانة العلوم والكتب في قصر الخلافة الاموية بالاندلس في النصـــف الثاني من القرن الرابع (أن عـدد الفهـارس التي فيهـــا تسمية الكتب أربعة واربعون فهرسة ، في كـــل

فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين لاغير) (٥)

ومع أن فهارس المكتبات كانت في أغلب الاحيان على شكل دفاتر وكراريس الا أن بعض المكتبات كانت تلصق على باب كل خزانة من خزائن كتبها فهرسا بمحتوياتها ، فالمقريزي يحدثنا في خططه أن تلك الطريقة كانت متبعة في خزائن القصر الفاطمي بالقاهرة (٦) ويحدثنا المقدسي (المتوفي حوالي سنة ٣٨٠ هـ) أنه رأى خزانة كتب عضد الدولة البويهي (المتوفي سنة ٣٧٢ هـ) بشيراز ، وأنها كانت عبارة عن أزج طويل فيه خزائن طول كل منها قامة في عرض ثلاثة أذرع ، لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب ، (٧)

تلك نماذج للاستعمال الاول للفظ (الفهرس) في التراث العربي القديم أردت بها مجرد التمثيل لا الحصر .

فاذا انتقلنا الى الدلالة الثانية للفظ وجدناها متمثلة في كتاب (الفهرست) لابن النديم وفي (رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي) (٨) وفي (فهرست كتب الشيعة) لأبي جعفر الطوسي و (فهرسة ماروواه ، ابن خير الاشبيلي ، عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف) وغيرها من الكتب المتأخرة التي سميت فهارس وهي في الحقيقة قوائم ببليوجرافية ، وأقدم هذه الاعمال جميعا فهرست ابن النديم (٩) ونظرا لأنه لم يرد في (كشف الظنون) وذيله أي فهرس آخر يتقدم عليه في الزمن فقد اعتقد الباحثون أنه أول عمل ببليوجرافي ظهر في اللغة العربية . وذلك يدفعنا الى محاولة الوقوف على مدى صحة هذا الاعتقاد .

فالذي تؤكده مصادر التراث العربي والذي يقطع به فهرست ابن النديم نفسه أنه سبق بمحاولات ببليوجرافية رائدة ضاع معظمها وبقيت شواهد تدل عليها نذكر منها :

أولا : أن الجاحظ (المتوفي سنة ٢٥٥ هـ) قد ذكر مؤلفاته في أول كتابه الحيوان ، ليكون ذلك كالفهرست ، على حد تعبير أبي بكر بن الاخشاد فيما يرويه عنه ياقوت في معجمه (١٠) .

وسواء قصد الجاحظ حصر كتبه أو لم يقصد ، فلقد كان التصور الببليوجرافي غير واضح في ذهنه فهو لم يحص مؤلفاته كلها ، ربما لانه لم يقصد الحصر والاستقصاء ، وربما لأن مالم يذكره يتأخر في زمن تاليفه عن كتاب الحيوان ثم انه لم يخضع ماذكره منها (على كثرته) لأي نوع من الترتيب زمنيا كان أم هجائيا أم موضوعيا . وماينبغي لنا أن نعيب على الجاحظ محاولته هذه لأنها جاءت في فترة متقدمة جدا من التاريخ العربي وفي عصر لم يكن يهتم فيه أحد بحصر مؤلفاته أو مؤلفات غيره أو بتجميع الكتابات في موضوع من الموضوعات وليس من العدل أن نقيس عملا تم في أوائل القرن الثالث الهجري بمقاييس أواخر القرن الرابع عشر .

ثانيا : أن كتب التراجم السابقة على ابن النديم والمعاصرة له كانت تذكر في بعض الاحيان أسماء كتب المؤلفين أو تقتصر على أهم هذه المؤلفات ، ولكن الصفة الببليوجرافية لم تكن مقصودة ولا مكتملة في تلك الكتب ، ففي كتاب (مراتب النحويين) ـ مثلا ـ يذكر لنا أبو الطيب اللغوي (١١) بعض مصنفات النحاة الذين يترجم لهم مثل كتابي (الاكمال) و (الجامع) لعيسى بن عمر (١٢) و « الغريب المصنف » و « غريب القرآن » و « غريب الحديث » لأبي عبيد القاسم ابن سلام (١٣) ولكن أبا الطيب لم يتعمد ذكر الكتب ولم يقصد اليه قصدا وانما كانت أسماء المؤلفات تأتي عرضا لتخدم الترجمة بدليل أننا نجده يقول في ترجمة الاخفش الاوسط (أبي الحسن سعيد بن مسعدة) (ولم يكن الاخفش ناقصا في اللغة أيضا ، وله فيها كتب مستحسنة) (١٤) دون أن يذكر هذه الكتب أو يسميها ، وما فعله أبو الطيب في (مراتب النحويين) فعله الزبيدي في « طبقات النحويين واللغويين » (١٥)

وفي السنة نفسها التي الف فيها ابن النديم كتابه ، الف ابن جلجل كتاب (طبقات الاطباء والحكماء) واهتم فيه بذكر أسماء اهم الكتب التي الفها او ترجمها كل من ترجم لهم كما يتضح من ترجمات يوحنا بن ماسويه ويوحنا بن البطريق وحنين بن اسحق ومحمد بن زكريا الرازي واسحق ابن سليمان الاسرائيلي (١٦)

ثالثا : أننا نجد في كتاب الفهرست نفسه اشارات متعددة الى أعمال ببليوجرافية سابقة اعتمد عليها ابن النديم ونقل عنها ، ومن الامثلة على ذلك :

(١) مايذكره من أن جابر بن حيان « المتوفي سنة ٢٠٠ هـ » (له فهرست كبير يحتوي على جميع ماألف في الصنعة وغيرها ، وله فهرست صغير يحتوي على ماألف في الصنعة فقط) (١٧) ويفهم من كلام ابن النديم أن جابرا هو الذي جمع قائمة مؤلفاته وأن ابن النديم قد نقلها عنه بدليل قوله : « قال جابر في كتاب فهرسته » (١٨) ومما يؤكد ذلك أن عبارة (قال جابر) تلقانا اكثر من مرة في أثناء ذكر مؤلفاته ، وأن الضمير المستعمل دائما هو ضمير المتكلم الذي يعود على جابر نفسه في مثل قوله : (ثم ألفت بعد ذلك ... وألفت ..)

(٢) قوله في معرض الحديث عن الامام الشافعي ـ رضى الله عنه ـ : « قال محمد بن اسحق : قرأت بخط ابن ابي يوسف ماهذه نسخته كتاب الرسالة ، كتاب الطهارة ، كتاب الامامة .. » (١٩) يفهم منه أن ابن أبي يوسف كان قد جمع كتب الامام الشافعي في ثبت ببليوجرافي اعتمد عليه ابن النديم في احصاء كتب الامام .

(٣) أنه يذكر فهرستا لكتب جالينوس وترجماتها الى العربية عمله حنين بن اسحق لعلي ابن يحى المنجم في القرن الثالث الهجري ورجع اليه ابن النديم وانتقده لأنه لم يذكر أن حبيشا هو الذي نقل كتاب التشريح الكبير الى العربية (٢٠) جاء ذلك في حديثه عن جالينوس ، وعند ذكر كتب حنين ورد من بينها (كتاب الى ابن المنجم في استخراج كمية كتب جالينوس) (٢١) وهو نفس الفهرست الذي سبقت الاشارة اليه .

ولم يكن هذا هو العمل الببليوجرافي الوحيد لحنين بن اسحق « المتوفي سنة ٢٦٠ هـ » فقد ذكر ابن النديم من بين مؤلفاته «كتاب ذكر ماترجم من الكتب » (٢٢) ومعنى هذا أن حنينا كان قد جمع قائمة ببليوجرافية بما ترجم من اللغات الاخرى الى اللغة العربية حتى منتصف القرن الثالث الهجري على وجه التقريب .

ومع أن ابن النديم لايذكر عن هذا الكتاب الا أنه (مقالتان) وهو وصف لايكفي في التعرف عليه ، الا أننا يمكن أن نستنتج منه أنه كان في في قسمين رئيسيين ، وأكبر الظن أن كل قسم منهما كان للغة من اللغات ، فقسم لما ترجم من اليونانية ـ مثلا ـ وقسم آخر لما ترجم من السريانية ، أما كيف كانت طريقة التنظيم في كل قسم من هذين القسمين فذلك مالم يحدثنا عنه ابن النديم ومالا سبيل الى الاجتهاد فيه .

(٤) قوله في أخبار داود بن علي « المتوفي سنة ٢٧٠ هـ » « قرأت بخط عتيق يوشك أن يكون كتب في زمان داود بن علي : تسمية كتب أبي سليمان داود بن علي ، وقد أثبتها على ترتيب ماقرأت » (٢٣) وبعد أن ينقل عن هذا المصدر مايقارب المائة والخمسين كتابا بعضها فصول صغيرة وبعضها الاخر يبلغ آلاف الاوراق يعود فيقول :

(قال محمد بن اسحق : نسخت هذه الكتب من جزء عتيق بخط محمود المروزي وأحسب هذا الرجل على مذهب داود الا أنه غير معروف) (٢٤)

ومعنى ذلك أن أحد تلاميذ داود بن علي أو أتباعه جمع كتبه في قائمة ببليوجرافية جعل لها عنوانا يدل عليها دلالة واضحة وهو (تسمية كتب أبي سليمان داود بن علي)

(٥) قوله عن عبدان أحد مؤلفي المذهب الاسماعيلي في القرن الثالث الهجري : « ولعبدان فهرست يحتوي على ماصنفه من الكتب » (٢٥) وبعد أن يذكر ثمانية من كتب عبدان يقول : « فهذه الكتب بلغةوهي الموجودة والمتداولة ، وباقي مافي الفهرست فقل مارأيناه أو عرفنا انسان أنه رآه » (٢٦)

(٦) أنه يذكر مؤلفات أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (المتوفي سنة ٣١١ هـ) نقلا عن

فهرسته اذ يقول : « ماصنفه الرازي من الكتب ، منقول من فهرسته » (٢٧) وبعد أن ينتهي من نقلها يقول : « تم ماوجد من فهرست الرازي » (٢٨) ٠

ويبدو ان الرازي هو الذي عمل هذا الثبت الذي رجع اليه ابن النديم ونقل عنه ، فقد كان الرجل يدرك اهمية احصاء الكتب ولذلك نرى له (كتابا في استدراك مابقي من كتب جالينوس مما لم يذكره حنين ولا جالينوس في فهرسته) (٢٩) ، وهو بمثابة ملحق او ذيل للببليوجرافية الخاصة بمؤلفات جالينوس ، وان كانت العبارة هنا تثير تساؤلا حول الببليوجرافية الاصلية وهل كانت من عمل حنين كما سبق ان ذكر ابن النديم ام من عمل جالينوس نفسه ٠

(٧) ماينكره في ترجمة أبي النضر محمد ابن مسعود العياشي السمرقندي « المتوفي نحو سنة ٣٢٠ هـ » (٣٠) من أن أبا أحمد جنيد بن محمد ابن نعيم كتب الى أبي الحسن علي بن محمدالعلوي « كتابا في آخره : نسخة ماصنفه من العياشي » ، ويبدو أن ابن النديم قد اطلع على هذا الكتاب وأخذ عنه بدليل أننا نجدهيقول بعد ذلك مباشرة : (وقد ذكرته على مارتبه صاحبه هذا) (٣١) ثم يمضي في ذكر مصنفات العياشي التي تبلغ مائة وواحدا وثمانين كتابا حتى اذا انتهى من سردها روى عن حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندي أحد غلمان ابن مسعود العياشي أن كتبه (مائتان وثمانية كتب وأنه ضل عنه من جميعها سبعة وعشرون كتابا) (٣٢)

(٨) أنه يذكر مؤلفات أفلاطون (على ماذكر ثاون ورتبه) (٣٣) ، ومعنى ذلك أن ثاون قدجمع مؤلفات أفلاطون في قائمة كانت موجودة في عصر ابن النديم وكانت المصدر الذي اعتمد عليه صاحب الفهرست في ذكر كتب أفلاطون ٠

(٩) أنه يذكر من بين ترجمات كتب ارسطو مقالة الباء ويقول عنها : (رأيتها مكتوبة بخط يحى بن عدي في فهرست كتبه) ثم يردف قائلا : (ومن كتب ارسطاليس ـ نسخ من خط يحى بن عدي من فهرست كتبه ـ كتاب الاخلاق قسره فرفوريوس ٠٠) (٣٤)

ويفهم من هذا النص أن يحى بن عدي (المتوفي سنة ٣٦٤ هـ) قد عمل قائمة ببليوجرافية بمؤلفات المعلم الاول وترجماتها الى العربية وأن ابن النديم اطلع على تلك القائمة ونقل عنها ٠

(١٠) أنه يستهل حديثه في الفن الثاني من المقالة الاولى وهو الخاص بأسماء كتب الشرائع المنزلة على مذهب المسلمين ومذاهب أهلها بقوله : (قرأت في كتاب وقع الى قديم النسخ يشبه أن يكون من خزانة المأمون ذكر تاقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها ، واكثر الحشوية والعوام يصدقون به ويعتقدونه ، فذكرت منه ماتعلق بكتابي هذا) (٣٥)

ويستنتج من هذا الكلام أن أحد المؤلفين كان قد جمع الصحف والكتب المنزلة في قائمة ببليوجرافية يرجح أنها كانت من بين مقتنيات خزانة المأمون ، وأن ابن النديم قد رجع اليها واستقى منها مايتصل بكتابه ٠

واذن فقد وجد ابن النديم من قبله أعمالا ببليوجرافية فردية فتحت امامه الطريق الى التجميع الببليوجرافي الشامل الذي تمثل في كتابه (الفهرست) وعلى الرغم من أن تلك المحاولات السابقة كانت واضحة الاهداف والغايات الا انها لم تتسم بنفس القدر من الوضوح في مناهجها وطرق تجميعها وترتيبها ، فمعظمها كان يكتفي بذكر عناوين الكتب كما في قوائم مؤلفات الشافعي وجابر وابن مسعود العياشي ، وبعضها كان يحصى عدد أوراق الكتب كما هو الحال في قائمة مؤلفات داود بن علي بينما كان البعض الاخر ينص على عدد الفصول او الاقسام او المقالات في كل كتاب كما في قائمة مؤلفات أبي بكر الرازي ٠ ولم يخضع اي من تلك القوائم لترتيب معين ، فلا هي رتبت هجائيا بعناوينها ، ولا هي رتبت زمنيا أو موضوعيا ٠ وبالنسبة للترجمات العربية لمؤلفات ارسطو وجالينوس كان يمكن أن تجمع الاعمال التي ترجمها شخص واحد في موضع واحد ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ٠

ومعنى هذا أن طريقة التنظيم الببليوجرافي لم تكن واضحة في تلك التجميعات الببليوجرافية

الاولى ، ولم تكن البيانات الببليوجرافية مستوفاة أو حتى متفقا عليها بالنسبة لهذه الاعمال • ولكننا نظلم تلك الفترة اذا قومناها بمعايير عصرنا الحديث الذي صبت فيه تجارب أكثر من عشرة قرون كاملة • ويكفيها فخرا أنها فتحت هذا الباب واقتحمت ميدان العمل الببليوجرافي قبل أن تعرفه أوروبا بما يقرب من تسعة قرون •

ولاشك أن ابن النديم قد أفاد من هذه البواكير الببليوجرافية الشيء الكثير وأكاد أقول انها لم تكن بالنسبة اليه مجرد مصدر للمعلومات الببليوجرافية التي ضمنها كتابه ، بل لعلها هي التي أوحت اليه بفكرة العمل الببليوجرافي الشامل ودفعته الى تأليف كتاب (الفهرست) الذي تمثلت فيه حصيلته مايقرب من ثلاثة قرون من التأليف والترجمة في اللغة العربية وتمثل فيه أيضا نضج ببليوجرافي لم يكن يمكن أن يتأتى له الا بعد محاولات الرواد الاول بكل مافيها من سذاجة وقصور •

واذن فابن النديم ليس الاب الشرعي لعلم الببليوجرافيا العربي كما توهم أكثر الباحثين ، فقد سبقه غيره على الطريق ، وأقدم الاعمال الببليوجرافية التي ورد ذكرها آنفا هو ذلك الذي ينسب الى جابر بن حيان • وقد توفي جابر على رأس المائة الثالثة ، ومعنى ذلك أن علم الببليوجرافيا عند العرب تمتد جذوره الى أواخر القرن الثاني الهجري ، أي الى ماقبل (الفهرست) بما يقرب من قرنين كاملين

ولقد كان عمل جابر عملا رائعا حقا اذا قيس بمقاييس عصره ، فهو قد جمع قائمتين ببليوجرافيتين احداهما بمؤلفاته عامة والاخرى بمؤلفاته في الصنعة خاصة • وكانما احس جابر في ذلك التاريخ البعيد بان نوعية قراء مؤلفاته الكيميائية تختلف عن نوعية قراء مؤلفاته في العلوم الاخرى فجمع قائمة بمؤلفاته على اطلاقها وبجانبها قائمة اخرى موضوعية متخصصة تقتصر على مؤلفاته في الكيمياء وذلك سبق ببليوجرافي ، ينبغي أن يسجل لصاحبه بكل تقدير واعجاب •

ومع أن ابن النديم يقدم لكتب جابر بقوله :

(ونحن نذكر جملا من كتبه رأيناها وشاهدها الثقات فذكروها لنا) (٣٦) الا أننا نلاحظ أنه يبدأ بذكر مجموعة أولى تجاوز المائة كتاب ثم يقول : (وله بعد ذلك سبعون كتابا) يذكر بعضها ثم ينتقل الى غيرها من الكتب والرسائل والمقالات وينقل عن جابر قوله : « قال جابر في كتاب فهرسته : ألفت بعد هذه الكتب ثلاثين رسالة لأسماء لها ، ثم ألفت بعد ذلك أربع مقالات وهي : كتاب الطبيعة الفاعلة الاولى المتحركة وهي النار ، كتاب الطبيعة الثانية الفاعلة الجامدة وهي الماء ، كتاب الطبيعة الثالثة المنفعلة اليابسة وهي الارض ، كتاب الطبيعة الرابعة المنفعلة الرطبة وهي الهواء قال جابر : ولهذه الكتب كتابان فيهما شرح ذلك وهما كتاب الطهارة ، كتاب الاعراض ، ثم ألفت بعد ذلك أربعة كتب وهي : كتاب الزهرة ، كتاب السلوة ، كتاب الكامل ، كتاب الحياة ، وألفت بعد ذلك عشرة كتب على رأى بلياس صاحب الطلسمات ٠٠ » (٣٧)

والطريقة التي أورد بها ابن النديم مؤلفات جابر ، والنص الذي نقله عن فهرسته يؤكدان أنه ذكر مصنفات جابر بنفس ترتيبها في ذلك الفهرست وهو ترتيب غريب يجعلنا نتساءل عما اذا كانت تلك الببليوجرافية مصنفة ، فالكتب ـ مثلا ـ لم تجمع معا في موضع واحد وانما وزعت على مجموعات تخللتها الرسائل والمقالات ، وداخل كل مجموعة لم يلتزم جابر بالترتيب الهجائي أو الموضوعي ٠ ومع ذلك فنحن نرجح أن ذكر جابر لمؤلفاته على هذا النحو كان مقصودا وأنه قد رتبها زمنيا بدليل قوله : (ألفت بعد هذه الكتب ٠٠ ثم ألفت بعد ذلك ٠٠٠)

ومنذ وضع جابر فهرسته الى أن جمع ابن النديم فهرسته ، لم تنقطع الاعمال الببليوجرافية التي تحصي كتابات المؤلفين المسلمين أو الترجمات العربية لمؤلفات كبار العلماء والفلاسفة اليونانيين

ونستطيع أن نلاحظ على ببليوجرافيات تلك الفترة أنها كانت تعالج أفرادا لاموضوعات ، وأن المؤلفين كانوا هم الذين يقومون بتجميع قوائم مؤلفاتهم في بعض الاحيان وان كان الغالب والاعم أن يتولى ذلك التلاميذ والمريدون ٠

ولقد كان كتاب (الفهرست) تتويجا لهذه المرحلة الاولى من مراحل تاريخ علم الببليوجرافيا عند المسلمين ، فيه تجاوزت المؤلفات الببليوجرافية حدودها القديمة ، وفيه خضعت للتنظيم ـ ربما لأول مرة ـ ومن خلاله بدأت تظهر الملامح الاولى للوصف الببليوجرافي ٠ واذا كانت تلك الاعمال الببليوجرافية التي ذكرناها بمثابة الفصل التمهيدي لقصة الببليوجرافيا عند المسلمين ، فلقد كان فهرست ابن النديم ـ بحق ـ هو الفصل الاول من فصول هذه القصة الطويلة التي امتدت وقائعها على مدى زمني يجاوز الالف عام ٠

المراجع والهوامش

(١) لسان العرب ، حـ ٦ ، ص ١٦٧ (ط ٠ دار صادر ودار بيروت ، ١٩٥٥ / ١٩٥٦)
والقاموس المحيط ، حـ ٢ ، ص ٢٣٨ (ط ٠ التجارية د ٠ ت)

(٢) ذكر الحسن بن سهل أن المأمون سأله يوما عن أشرف كتب العجم فذكر له منها كتاب (جاويذان خرد) فدعا بفهرست كتبه وجعل يقلبه فلم ير لهذا الكتاب ذكرا فقال : كيف يسقط ذكر هذا الكتاب من الفهرست ؟ راجع : محمد كرد علي : رسائل البلغاء ص ٤٨٠ (ط ٤ ٠ لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٤)

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، حـ ٧ ، ص ١٧٢ (ط ، حيدر اباد ، ١٣٥٧ هـ)

(٤) معجم الادباء ، حـ ٦ ، ص ٢٥٩ (ط ٢ ٠ دار المأمون ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ عن طبعة مرجليوث الثانية) ٠

(٥) تاريخ ابن خلدون ، حـ ٤ ، ص ١٤٦ (ط بولاق ، ١٢٨٤ هـ)

(٦) خطط المقريزي ، حـ ٢ ، ص ٢٥٤ (ط ٠ بولاق ، ١٢٧٠) هـ وقد أنشئت تلك الخزائن في القرن الرابع الهجري ٠

(٧) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٤٤٩ (ط ٠ بريل ، ١٩٠٦ بتحقيق م ٠ ج ٠ دي جوج)

(٨) نشر بول كراوس ، باريس ، مطبعة القلم ، ١٩٣٦ ٠

(٩) فقد ألفه ابن النديم سنة ٣٧٧ هـ والكتب الثلاثة

الاخرى يتأخر مؤلفوها في الزمن عن ابن النديم . فالبيروني ولد سنة ٣٦٢ وتوفي سنة ٤٤٠ . والطوسي ولد سنة ٣٨٥ وتوفي سنة ٤٦٠ وابن خير ولد سنة ٥٠٢ وتوفي سنة ٥٧٥ هـ

(١٠) معجم الادباء . حـ ١٦ . ص ١٠١

(١١) من رجال القرن الرابع الهجري

(١٢) مراتب النحويين . ص ٢٣ (ط . مكتبة نهضة مصر ١٩٥٥)

(١٣) مراتب النحويين . ص ٦٣

(١٤) مراتب النحويين . ص ٦٨

(١٥) راجع ص ١٥ (ط . الخانجي . ١٩٥٤ بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم) تجد فيها ذكرا لكتابي عيسى بن عمر . وقد توفي الزبيدي سنة ٣٧٩ هـ

(١٦) طبقات الاطباء والحكماء . ص ٦٥ ـ ٦٧ . ٦٩ . ٧٧ ٨٧ (ط . المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية . بالقاهرة ١٩٥٥ بتحقيق فؤاد سيد)

(١٧) الفهرست . ص ٣٥٥ (ط . مكتبة خياط ببيروت . مصورة بالاوفست من طبعة فلوجل)

(١٨) الفهرست . ص ٣٥٧

(١٩) الفهرست . ص ٢١٠

(٢٠) الفهرست . ص ٢٩٠

(٢١) الفهرست . ص ٢٩٥

(٢٢) الفهرست . ص ٢٩٤

(٢٣) الفهرست ص ٢١٦

(٢٤) الفهرست ص ٢١٧

(٢٥) الفهرست ص ١٨٩

(٢٦) الفهرست ص ١٨٩

(٢٧) الفهرست ص ٢٩٩

(٢٨) الفهرست ص ٣٠٢

(٢٩) الفهرست ص ٣٠٠

(٣٠) من فقهاء الشيعة الامامية

(٣١) الفهرست . ص ١٩٤

(٣٢) الفهرست . ص ١٩٦

(٣٣) الفهرست ص ٢٤٦

(٣٤) الفهرست ص ٢٥١ ـ ٢٥٢

(٣٥) الفهرست ص ٢١

(٣٦) الفهرست . ص ٣٥٥ .

(٣٧) الفهرست . ص ٣٥٧ . وهذه الكتب ليست كتبا بالمدلول الحديث للفظ الكتاب . فقد كان اللفظ يطلق على المبحث المفرد أو الباب . ولذا كان الكتاب الواحد يضم عددا من الكتب بعدد مباحثه أو ابوابه . يؤكد ذلك قول ابن النديم عن كتاب المبسوط في الفقه للامام الشافعي : (ويحتوي هذا الكتاب على كتاب الطهارة . كتاب الصلاة . كتاب الزكاة . كتاب الصيام كتاب الحج كتاب الاعتكاف .) (ص ٢١٠) وقوله من كتاب (عيون الاخبار) لابن قتيبة : (ويحتوي على عشرة كتب : كتاب السلطان . كتاب الحرب . كتاب السؤدد . كتاب الطبائع . كتاب العلم . كتاب الزهد . كتاب الاخوان كتاب الحوائج . كتاب الطعام . كتاب النساء) (ص ٧٧)

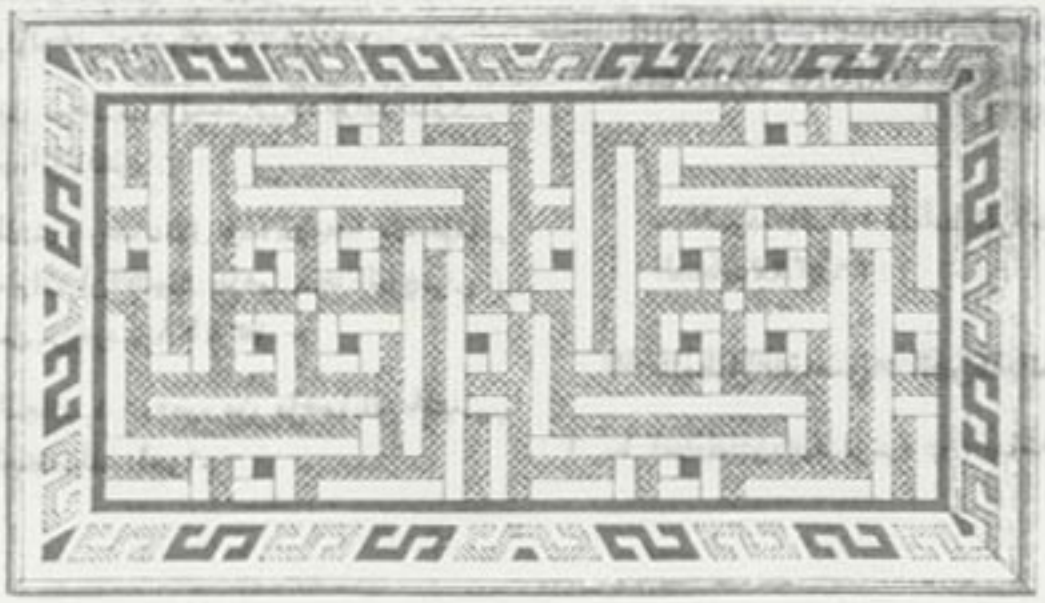

الوهابية وحقوقهم ، طبع في مطبعة دولة دمشق عام ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢٢ م ٠

٥ ـ أحمد محمد الضبيب (دكتور) مقال في مجلة الدارة ـ العدد الاول ـ ربيع الاول سنة ١٣٣٥ هـ ٠

٦ ـ اندونيسيا الثائرة ، المركز العام لجمعيات استقلال أندونيسيا بالقاهرة ، الطبعة الاولى بمطبعة الاعتماد بمصر ٠

٧ ـ خير الدين الزركلي ، الاعلام حـ ١ ، حـ ٢ ، حـ٣ ، حـ٤ ، حـ٦ ، حـ٧ ، حـ٨ الطبعة الثالثة ٠

٨ ـ شفيق جبري ، محاضرات عن محمد كرد علي معهد الدراسات العربية العالمية ١٩٥٧ م

٩ ـ صلاح البكري ، حضر موت وعدن ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ، مكتبة الارشاد بجدة ٠

١٠ ـ عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والاخبار ـ دار الفارس ـ بيروت ٠

١١ ـ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، دعوة الشيخ ومناصروها ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ٠

١٢ ـ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، مشاهير علماء نجد وغيرهم ، اشراف دار اليمامة بالرياض ، الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ

١٣ ـ عبد الله بن خميس ، شهر في دمشق ، مطابع الرياض ١٣٧٥ هـ ٠

١٤ ـ عبد الله بن سعد الرويشد ، الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ حـ ٢ ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٧٢ م

١٥ ـ عبد الله بن سعد الرويشد ، قادة الفكر الاسلامي عبر القرون ٠

١٦ ـ علي الطنطاوي ، مقال في مجلة رابطة العالم الاسلامي بعنوان (الشيخ طاهر الجزائري) العدد الخامس رجب ١٣٨٥ هـ

١٧ ـ عمر عبد الجبار ، دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام ٠

١٨ ـ محمد البهي (دكتور) الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ، الطبعة السادسة سنة ١٩٧٣ دار الفكر بيروت ٠

١٩ ـ محمد بهجة الاثري ، محمود شكري الالوسي وآراؤه اللغوية ، معهد الدراسات العربية العليا سنة ١٩٥٨ ٠

٢٠ ـ محمد جمال الدين الشيال (دكتور) ، الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الاسلامي الحديث حـ١ ٠

٢١ ـ محمد حسين زيدان ، مقال بجريدة البلاد العدد ٥١١٦ بتاريخ ٢٥ ـ ١٢ ـ ١٣٩٥ هـ

٢٢ ـ محمد رشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام حـ٢

٢٣ ـ محمد رشيد رضا ، الوهابيون والحجاز ، المنار الطبعة الاولى ١٣٤٤ هـ (مصورة)

٢٤ ـ مسلم القاسمي ، الدكتور صلاح الدين القاسمي ، المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩

٢٥ ـ معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ، مجلة الدارة العدد الرابع السنة الاولى ذو الحجة سنة ١٣٩٥ هـ

1) A.L. Tibawi, A Modern History of Syria, Edinburgh 1969.
2) Aziz Ahmed, An Intellectual History of Islam in India.
3) Gibb, Bowen, Islamic Society and the West Volume I Part IV.
4) Lammens H., Islam: Beliefs and Institutions (Translated), Ross Frank Ceass, Co. Ltd., 1964.
5) Trimingham J. Spenser, The Sufi Orders in Islam, Oxford University Press 1971.

مجلة الدارة العدد الرابع السنة الاولى ذو الحجة ١٣٩٥ ٠

الفصل الخامس : الحركة السنوسية ٠

١ ـ استودارد لوثروب ، حاضر العالم الاسلامي

المجلد (٢) ترجمة عجاج نهويض ، تعليق شكيب أرسلان ٠

٢ ـ حسن أحمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا الجزء الاول ، دار النهضة العربية سنة ١٩٦٣ ٠

٣ ـ خير الدين الزركلي ، الاعلام ، الجزء السابع الطبعة الثالثة ٠

٤ ـ عجيل قاسم النتيمي (دكتور) محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للفكر الاسلامي بالجزائر ، المجلد الخامس « من يوليو الى اغسطس ١٩٧٢ »

٥ ـ محمد الطيب بن ادريس الاشهب ، السنوسى الكبير ، مطبعة محمد عاطف ، مكتبة القاهرة بالازهر ٠

٨ ـ موسى اسحق الحسيني ، الجزء الثاني من « الاسلام ـ الصراط المستقيم » ترجمة محمد عبد الله دارز وآخرون ، مؤسسة فرانكلين ، دار الحياة بيروت ١٩٦٣ م

Shorter Encyclopaedia of Islam, Leiden 1961.

الفصل السادس : الثورة المهدية ـ جهاد ايشان ايش محمد كول :

١ ـ أحمد شلبي (دكتور) ، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية (٦) مكتبة النهضة المصرية طبعة ١٩٧٢ ٠

٢ ـ حسن أحمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، الجزء الاول ، دار النهضةالعربية سنة ١٩٦٣ م

٣ ـ عبد الكريم الخطيب ، محمد بن عبد ألوهاب ـ العقل الحر والعقل السليم ـ الطبعة الاولى يناير سنة ١٩٦٠ رجب سنة ١٣٧٩ هـ دار الكتاب العربي بمصر ٠

1) Concise Encylopaedia of Arabic Civilization, Amsterdam, 1966.

2) Fazlur Rahman, Islam, NewYork 1966.

الفصل السابع : حركة جمال الدين الافغاني :

١ ـ عباس محمود العقاد ، الاسلام في القرن العشرين ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ٠

٢ ـ عبد الله بن سعد الرويشد ، قادة الفكر الاسلامي عبر القرون ٠

٣ ـ عبد المتعال الصعيدي ، المجددون في الاسلام ، دار الحمامي للطباعة بالقاهرة ، نشر مكتبة الآداب ٠

الفصل الثامن : ـ مصلحون تأثروا بدعوة الشيخ

١ ـ الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء في معرفة أخبار المغرب الاقصى ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء سنة ١٩٥٦ م

٢ ـ الشيخ محمد رشيد رضا ، الوهابيون والحجاز الطبعة الاولى ١٣٤٤ هـ (نسخة مصورة)

٣ ـ تركي براع ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ٠

مراجع :

دائرة المعارف الاسلامية المترجمة للعربية ، جورج ٠ س ٠ كولين وترجمة الشنتناوي ٠